

الباب السادس

الحلم بين المدح والذم في الأمثال والأدب

الفصلُ الأوَّلُ : مدحُ الحلمِ في الأمثالِ والأدبِ .

الفصلُ الثَّانِي : ذمُّ الحلمِ في الأمثالِ .

الفصل الأول

مَذْحُ الْحِلْمِ فِي الْأَمْثَالِ وَالْأَدَبِ

* يقتعدُ الحلمُ في مكارمِ الأخلاقِ مكانَ الرَّأسِ في الجِسْمِ ، ولذلك نَلَمَحُ أهميَّةَ الحلمِ في أقوالِ العربِ وأمثالهم ، وقد أكثرَ العربُ وأهلُ الأمثالِ من امتداحِ الحلمِ - كما سنرى - وعدُّوه أحدَ مفاخرهم ، وجرى على لسانهم المثلُ المشهور : الحلمُ سيِّدُ الأخلاقِ .

* قال أبو عبيد - رحمه الله - : من أمثالهم في الحلم قولهم : إذا نزلَ بك الشَّرُّ فاقْعُدْ ، أي فاحلُمْ ولا تُسارعِ إليه^(١) .

(١) العقد الفريد (٣/١٠٤) .

* وقولهم في الحلماء : كأنما على رؤوسهم الطير^(١) .
لأنَّ الطَّيْرَ لَا تَسْقُطُ إِلَّا عَلَى سَاكِنٍ .

* وقولهم في الحليم : إِنَّهُ لَوَاقِعُ الطَّيْرِ ، وَلَسَاكِنُ
الرَّيْحِ^(٢) .

يعني أنَّ الحليمَ رزينٌ لَا يَتَحَرَّكُ وَلَا يُحَرِّكُ جَوَارِحِهِ .

* وقولهم : حلمي أصمُّ وأذني غيرُ صمَّاء^(٢) .

* ومن الأمثال المحفوظة في امتداح الحلم هذه الأقوال :
الرَّفْقُ نَيْيُ الحِلْمِ .

حلمٌ ساعة يدفعُ شرًّا كثيرًا .

الحلمُ غولُ الحلمِ . أي مُهلكُهُ .

احلمُ تَسُدُّ .

مَنْ حَلَمَ سَادَ ، وَمَنْ تَفَهَّمَ ازْدَادَ^(٣) .

(١) العقد الفريد (٣/ ١٠٤) .

(٢) العقد الفريد (٣/ ١٠٤) .

(٣) عيون الأخبار (٣/ ٢٨٢) .

* وهذا المثل يُشيرُ إلى السُّؤدِدِ ، إذ قُرِنَ الحلمُ بالسِّيادة ، بل هو من وسائل السُّؤدِدِ ، وهو من الخصائلِ المُستحسنةِ في السُّؤدِدِ والشَّرَفِ^(١) .

* وقال أكثمُ بن صيفي : دعامةُ العَقْلِ الحِلْمُ ، وجماعُ الأمرِ الصَّبْرُ .

* وقال الحسنُ البصري : الحليمُ سليم ، والسَّفِيهُ كليم .

وهذان القولان في الحلم جَرِيًّا مجرى الأمثال .

* ومِمَّا حُفِظَ عن العربِ قولُهُم : عُدَلِ السَّفِيهِ بِألفِ حليم .

* وقال الأصمعي : لا يكادُ يجتمعُ عشرةٌ إلا وفيهم مقاتلٌ وأكثر ، ويجتمعُ ألفٌ ليس فيهم حليم^(٢) .

* وقولُهُم : لا حُلْمَ لِمَنْ لا سفيه له .

* وقولُهُم : ليس الحليمُ مَنْ إذا ظَلَمَ فحلم ، حتى إذا قدر

(١) راجع فصل : الحلم والسُّؤدِدِ في هذا الكتاب .

(٢) عيون الأخبار (٢٨٧ / ٣) .

انتقم ، ولكنَّ الحليمَ مَنْ ظَلَمَ فَحَلِمَ حتى إذا قدر عفا .

* وقالوا : إذا تلاحتِ الخصوم ، تسافهتِ الحلوم .

* وأوردَ الميداني في مجمع الأمثال أنَّهم قالوا : ضَلَّ حِلْمُ امرأةٍ فأين عيناها . والمعنى : هَبْ أَنْ عَقَلَهَا ذَهَبَ فَأَيْنَ ذَهَبَ بَصْرُهَا ؟ يُضْرَبُ في استبعاد عقل الحليم .

* ومن الأمثال المشهورة التي نُسِبَ فيها الحِلْمُ إلى أهلِ الحِلْمِ قولهم : أَحْزَمُ من سنان ، وأحلمُ من سنان^(١) ؛ قال أبو هلال العسكري : ولم يُجمع الحزْمُ والحلمُ لأحدٍ غيره ، وهو سنان بن أبي حارثة^(٢) .

* وقال الأصمعي : سمعتُ أعرابياً يقولُ : كان سنانُ بن أبي حارثة أحلمَ من فرخ الطائر . قلتُ : وما حِلْمُ فرخ الطائر ؟ قال : إنَّه يخرجُ من بيضةٍ في رأسِ جبل ، ولا يتحرَّك

(١) كتاب جمهرة الأمثال (٣٢٩/١) برقم (٦٨٣ و ٦٨٤) ، دار

الكتب العلمية ، ط ١٩٨٨ م .

(٢) المصدر السابق نفسه .

حتى يتوفّر ريشه ، ويقوى على الطيران^(١) .

* وقالوا : أحلمُ من الأحنف^(٢) . وهو الأحنف بن قيس . والحلماء كثيرون ، يُقال : أحلام عاد ، كما قال الشاعر :

على امرئ هَدَّ عرشَ الحيِّ مصرعُه

كأنه من ذوي الأحلام من عاد

وقال النَّابِغَة :

أحلامُ عادٍ وأجسادُ مُطَهَّرَةٌ من المعقَّةِ والآفاقِ والإثمِ

* وذَكَرَ حَلْمُ لَقْمَانِ بْنِ عَادٍ ، وَحَصْنُ بْنُ حَذِيفَةَ ، وَزُرَّارَةُ بْنُ عَدَسٍ ، وَحَاجِبُ بْنُ زُرَّارَةَ ، وَغَيْرِهِمْ .

* وهذا ولم يحظَ أحدٌ من ذكر الحلم بما حظي به

(١) العقد الفريد (٢/ ٢٨٠) بتصرف يسير جداً .

(٢) جمهرة الأمثال (١/ ٣٢٨) برقم (٦٨١) ، ومجمع الأمثال

(١/ ١٤٨) .

الأحنف بن قيس هذا ، وأسبابُ الأمور عجيبة ، وكان يقول :

لست بحليم ولكني صبور ، أو قال : ولكني أتحالم .

وقيل له : ما الحلم ؟

فقال : الذُّلُّ تصبرُ عليه^(١) .

* وقال أبو تمام مادحاً - وقد ذكر حلم الأحنف في معرض

مديحه - :

إقدامُ عمرو في سماحةِ حاتم

في حلمِ أحنفَ في ذكاءِ إياسِ

* ومما يُروى عن حلم الأحنف أنَّ رجلاً شتمه ، وألحَّ

عليه ، فلمَّا فرغَ قال له : يا بن أخي ، هل لك في الغداء ؟

فإنَّك منذُ اليوم تحدو بجُمَلِ ثقال^(٢) .

* ومن الأمثال السَّائرة التي تُنسبُ إلى أشخاصٍ قولهم :

(١) العقد الفريد (٢ / ٢٧٧) .

(٢) عيون الأخبار (٣ / ٢٨٣) .

أحلمُ ممّن قرعت له العصا . أو : إنّ العصا قُرَعَتْ لذي
الحلم . يُضرب لمن إذا نُبّه انتبه . قال العسكري : والحلم
عند العرب : العلم .

* وقيل هذا المثلُ : أحلمُ ممّن قُرَعَتْ له العصا : هو
عامرُ بن الظرب العدواني ، وكان من حُلَماء العرب
وحكامها ، وكان قد أُسِنَّ ، فرَبّما هفا في نادي الحُكْم ،
فَتُقَرِّعُ له العصا فيرتدع . قال المتلمّس :

لذي الحلم قبل اليوم ما تُقَرِّعُ العصا
وما عَلَّمَ الإنسانُ إلا ليعلما

* وقال الحارثُ بنُ وعله :

وزعمتُ أنّي لا حلومَ لنا
إنّ العصا قُرَعَتْ لذي الحلم

* وقال الفرزدق :

فإنّي كنتُ أستأني حلومَ مجاشعِ
فإنّ العصا كانت لذي الحلم تُقَرِّعُ

الفصل الثاني

ذمُّ الحِلْمِ فِي الْأَمْثَالِ

* يبدو ذمُّ الحِلْمِ فِي أَمْثَالِ الْعَرَبِ قَلِيلاً إِذَا مَا قَيْسَ فِي
أَمْتَدَاحِهِ ؛ وَلَعَلَّ ذَمَّ الْحِلْمِ فِي أَمْثَالِهِمْ قَدْ وَرَدَ قَلِيلاً ، وَوَرَدَ
مُصْحَباً بِمَوْقِفٍ مَا ، أَوْ حَادِثَةً عَابِرَةً .

* وَمَتَنَ جَعَلَ الْحِلْمَ فِي مَوْضِعِ النَّدَمِ عَيْسَى بْنِ طَلْحَةَ بْنِ
عُبَيْدِ اللَّهِ ، فَقَدْ قِيلَ لَهُ - وَكَانَ حَلِيمًا - : مَا الْحِلْمُ ؟
قَالَ : الذُّلُّ .

* وَلَعَلَّ الْمَعْنَى الَّتِي أَرَادَ هَذَا التَّابِعِيُّ الْكَرِيمُ عَيْسَى بْنِ
طَلْحَةَ ، الصَّبْرَ عَلَى تَحَمُّلِ الْأَذَى وَالشَّتْمِ .

* وَقَالَ مَعَاوِيَةَ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : إِنَّ الْحِلْمَ
الذُّلُّ .

* وقال : لا حلمَ لمن لا سفيه له .

* وقال : ما قلَّ سُفهاء قوم إلا ذُلُّوا .

* ومن أمثالهم في ذم الحليم قولهم : الحليمُ مطيئةُ
الجهول^(١) .

يُضربُ هذا المثلُ في احتمالِ الحليم . قال العسكري :
معناه أنَّ الحليمَ يحتملُ جهلَ الجهولِ ، ولا ينتصفُ منه^(٢) .

وقال أبو هلال العسكري أيضاً : أجمعُ كلمةٍ سمعناها في
الحلم ، ما سمعتُ عمَّ أبي يقول : الحليمُ ذليلٌ عزيزٌ ، وذلك
أنَّ صورةَ الحليمِ صورةُ الدليلِ الذي لا انتصارَ له ، واحتمالِ
السَّفيهِ والتَّغافلِ عنه في ظاهرِ الحالِ ذلٌّ وإن لم يكن به .

وقيل : الحليمُ مطيئةُ الجهولِ ؛ لاحتماله جهله وتركه

(١) انظر : جمهرة الأمثال (٢٨٤/١) برقم (٥٣٢) ، ومجمع

الأمثال (١٤٢/١) ، والعقد الفريد (١٠٤/٣) .

(٢) جمهرة الأمثال (٢٨٤/١) .

الانتصاف منه (١) .

فالحليم يتوطأ للجاهل فيركبه بما يريد فلا يجازيه عليه
كالمطية .

ويُشبه هذا المثلَ قولَ الشاعر :

وإنما الحلمُ ذلٌّ أنتَ عارفُهُ

والحلمُ عن قدرةٍ ضُربَ من الكرمِ

* ومن أمثالهم في ذمِّ الحلم : لا ينتصفُ حليمٌ من
جاهلٍ ؛ لأنَّ الجاهلَ ربّما يغلبُ الحليمَ ، فيحتملُ أذاهُ دون
أن ينتقمَ منه .

* وقيل لشيخٍ من الأعراب : ما الحلمُ ؟! فقال : الذي
يصبرُ عليه .

* وقال : الحلمُ عقالُ الشرِّ ، وذلك أنَّ مَنْ سَمِعَ مكروهةً
فسكتَ عنها انقطعَت عنه أسبابُها ، وإن أجابَ اتَّصلتْ بأمثالها .

(١) المصدر السابق نفسه .